

الثنائيات الضدية على مستوى الالفاظ في شعر مهيار الديلمي

أ.م.د. خليل كاظم غيلان

الباحثة: علياء طالب مشيجل

كلية الآداب، جامعة ذي قار

المخلص:

تعد الالفاظ المكون الاساس الذي يمنح الشعر سر شعريته المصورة للمعاني المخلتجة في نفس الشاعر، فهي لغة الانفعال لمعنى يستحضر الشاعر فيه افكاره ويصيغها في قوالب شعرية يضيف عليها اصداً من الالقاءات المختلفه، فكانت الفاظ الشاعر مهيار الديلمي على مستوى التضاد تحمل معان مختلفة واشكال متعددة منها البياض والسواد، والرضى والسخط، والعسر واليسر، الرضى والسخط، الصعب والسهل، واخيراً الايمان والكفر، إذ تنتظم في قالب بنائي قائم على التناقضات تتحقق قيمة نفسية ومعنوية في رؤيته للواقع الذي عاشه.

Abstract:

Vocabulary is the basic component that gives poetry the secret of its poetic portrayal of the meanings mixed in the poet's soul. It is the language of emotion, a meaning in which the poet evokes his ideas and formulates them in poetic templates, giving them echoes of different revelations. The poet Mahyar al-Dailami's words were at the level of antagonism, carrying different meanings and multiple forms, including whiteness. Blackness, contentment and discontent, hardship and ease, contentment and discontent, hard and easy, and finally faith and disbelief, as they are organized in a constructive template based on contradictions, achieving psychological and moral value in his vision of the reality he lived.

الالفاظ

لقد حظيت الالفاظ باهتمام كبير من قبل العلماء والنقاد؛ لأنها المادة الاولى في اي عمل دلالي إذ انها الاوعية التي تصب بها المعاني ولا تكتمل عملية الاتصال الا عبرها. والشاعر لا يكون شاعراً باحساسه فقط، وانما بالفاظه ((فالفاظه ليست الفاظاً عادية انما هي مفجرة لطاقت اللغة الواضحة وقريبة الدلالة الى ابناء العصر الذي ينتمي اليه الشاعر والتي يفهمها عامة ابناء ذلك العصر، إذ يستعمل الشاعر الالفاظ استعمالاً خاصاً ليؤطر بناءً لغوياً لا يشبه استعمال الالفاظ نفسها في النثر))^(١)، لذا تعد اللغة ابداع وفكر وخيال اكثر من انها لغة تعكس هواجس الشاعر. وبهذا يكتسب النص خصياً وثراء بما لدى الشاعر من قدرة على الصياغة والتصوير والتأثير^(٢). لذلك يمكن للشاعر ان يضع الالفاظ في تراكيب تجعلها اكثر احياء بتجاوزها على ما تدل عليه هذه الالفاظ في علاقاتها الجديدة التي تمنحها الحيوية، وبذلك تظهر حقيقة الشاعر في نظامه الاسلوبي الدال على التفاعل مع التجربة الشعرية وثقافته وموهبته وقدرته على التعبير^(٣). لان الشاعر الحق ((هو ذلك الذي يستطيع ان يبعث الحياة من جديد في الفاظ هي على وشك الاندثار او الموت، ويتأني له ذلك من حساسيته الخاصة ازاء المفردة الموروثة، وتكمن بعض اهمية عمله

في قدرته على اكساب تلك المفردة احياءات، تنبثق عن الحالة النفسية، او الضرورة الموضوعية للعمل الشعري^(٤).

ومن البديهي القول إن المعنى لا يظهر بنفسه ولا يستمد قوته من ذاته، وانما من خلال قوالب الالفاظ، فإلى جمال الالفاظ وحسن اختياره والبراعة في ادائه يرجع الفضل الاول والاكبر في ظهور المعنى وتأثيره^(٥). وللتضاد اثر في دلالة الالفاظ، فهي ليست مستقلة بذاتها، وانما تحمل اكثر من معانيها، لما بينه وبين غيرها من تجانس وتناسب وتضاد^(٦). وتتشأ الثنائيات الضدية بين الوحدات الشعرية عبر تعاكس البنى المشكلة للنص على المستوى اللغوي، فتظهر الثنائيات الضدية اللفظية بين الكلمات والجمل ذات دلالة اكثر وقعاً في النفوس عن طريق الكشف عن العلاقات الدلالية بين هذه الثنائيات^(٧)، ويمكن ان نجد ذلك واضحاً في اهم الموضوعات التي تناولها الشاعر مهيار الديلمي في شعره والتي تضمنت:

أولاً: البياض والسواد

ان التوظيف اللوني في النص الشعري له دلالات تأخذ بالنص الشعري الى ابعاد ومعاني مختلفة، اذ ((تتعدى دلالة اللون نطاقها الوضعي المطابق، الى ما هو اعم، حيث تتسع دائرة احياء اللون للتفسير والتأويل بتضمينها معاني ورؤى اعم من المعنى الوضعي))^(٨). اذ عبر اللون، تتضح جماليات الأشياء الخفية والضمنية في النص الشعري، وبوساطة اللون تظهر كوامن الشاعر الخفية، ويتجلى ما تحمله من مشاعر واحاسيس. ففي مجال الشعر، هناك ارتباطاً وثيقاً بين اللون واللغة، فهي المحرك التي بدورها تكون ((وسيلة فنية للشاعر فضلاً عن طريقة تعبيره بها عندما يحيل تجربته الى الوجود الفني، لذلك يسهم تأثير الفعل اللوني في إخفاء قدرات جديدة من الاثارة وتوسيع القابليات التشكيلية لهيكل النص، خدمة للصورة الشعرية))^(٩).

تأتي أهمية الألوان المتضادة في النص الشعري لخلق فضاء شعري يرتقي بالنص من مستواه السطحي الى مستوى اعمق في صورة مليئة بالإحياءات وقادرة على تحقيق الانسجام والتوازن الدلالي، ولاسيما التضاد بين السواد/البياض ((لما بين اللونين من التقابل.... فبين كل لونين من الألوان غير البياض والسواد تقابل وان لم يكن تقابل التضاد فهو داخل في الطباق))^(١٠). وقد هيمن اللونان الأسود والأبيض بشكل مباشر على ما ورد من الوان في قصائد الشاعر مهيار، واستطاع عبرها ان يكشف دلالات تعبيرية قادرة على اثراء النص.

وقال في نص آخر^(١١):

ان؟ أبكٍ أمراً بعد ما فاتني
وأنكر الصبوة من شائب
وهل عدتني شبيبة في الحشا
فقد بكى قلبي (يعقوب)
حتى كأن ما صبت الشيب
إذ مفرقي اسود غريب

يرى الشاعر من خلال الشيب والسواد ان في هذه الخصلة اسوة بما نال النبي يعقوب (ع) من الشيب الا من ذلك الحزن والههم الذي انتاب الشاعر من بيئته ومجتمعه وضنك العيش الذي عاش فيه، فقد اجاد في جعل التضاد موحياً معبراً عن حالته وجعلها واضحة بارزة في ذهن المتلقي، وبذلك كان لتوظيف اللون غير المباشر اهمية للوصول الى قصدية الشاعر، لذا لاتعد الدلالة اللونية امرأ هامشياً بمعزل عن الوعي والادراك بل يشار لها على انها تحمل في ثناياها طابعا قصدي تسعف الشاعر في تقديم رؤيته وموقفه بشكل فني^(١٢). ليجعل القارئ يتماهي ويتوحد معه، لان القول الشعري نابع من العقل الباطن القادم من روح وادراك الشاعر. فتجد صدق المشاعر التي يبوح بها، لذلك استند الشاعر على ما تعطيه الثنائيات

الضدية من قوة القول والمعنى لإيصال رؤيته حول موضوع البياض والسواد، وهذا التضاد بين مفهوم الشاعر السليبي للون الأبيض الذي يدل على المشيب فجمعه مع ما يناقضه وهو اللون الأسود ليزيد الأمر وضوحاً وترسيخاً في ذهن القارئ.

ومن تداخل اللون الأبيض بالأسود قول مهيار واصفاً محبوبته^(١٣):

كم ليلةٍ قد أرتني حشوها قمراً
من كلِّ هيفاءٍ إلا الردفَ تحسبه

وجوهها البيضُ في أبياتها السُّودِ
غصناً من البانٍ معقوداً بجلمودِ

وظف الشاعر التضاد اللوني في هذا النص بصورة غير مباشرة بين (ليلة، قمراً) وهي استعارة رائعة، اذ وصف الشاعر الليلي الظلماء وما حوته من مظهر جميل بسطوع القمر في صورة بصرية جميلة تشبهاً بوجه محبوبته. فالشاعر يقف متعجباً من هذا البياض الذي تداخل مع لون شعرها الاسود فان سواد شعرها يظهر بياض وجهها وبالعكس، فجاء التضاد في عجز البيت (الابيض والاسود) تأكيداً للمعنى ((فاللون عنصر مهم ومؤثر من عناصر التصوير يحمل دلالات مختلفة تبعاً لوظيفته وموقعه))^(١٤).

كما نلمح في النص اسلوب الاستقهام المجازي الذي خرج الى معنى التعجب، فهذه المعاني أكدت جمال محبوبته ورقتها وصفاتها، فحبها لها وصدق عاطفته حملته على توظيف مفردات خرجت من عمق احساسه اتجاهها. وبذلك كشف لنا اجتماع هذين اللونين وازدواجهما في لوحة فنية عن مدى تمكن الشاعر وقدرته من الرموز والكلمات ومحاورته للأشياء^(١٥).

والى مثل هذا المعنى من التضاد اللوني يذهب بنا الشاعر مهيار الديلمي قائلاً^(١٦):

دعهم وقلبي ما وفوا بضمانه
رحلوا بأحلامي فقلتُ لمقتلي

بيضاء في الغادين يومي أسودٌ
عطف الفؤاد على الحداق أنها

يا شمس طال الليل بعد فراقها
ودع البكاء لهم يفى بضمان

إن النهى حجرٌ على الأجنان
من بعدها وبكايٍ أحمر قاني

خلعتُ تعطفها على الأغصان
طال الصباح وأنت في الأظعان

يوظف الشاعر دلالة اللون بصورة مباشرة في صورته الشعرية كي ((تقع القارئ وتتل اعجابه وتشد انتباهه، وتصدم خياله وتوجه بابرار الشكل اكثر حدة واكثر غرابة، واكثر طرافة واكثر جمالا))^(١٧). اذ استعمل الشاعر مجموعة لونية متمثلة بـ(بالابيض والاسود) بصورة مباشرة، وغير مباشرة بين (الليل والصباح). فاللون الأبيض إشارة الى أيامه التي كانت بقرب من يحب. فجاء الأبيض معزراً لصورة الحزن التي انتابته نتيجة رحيل من يحب قبل ان يجعل ذلك الحزن أيامه سوداً بعد ان كانت بيضاء، فجاء التضاد بين اللونين ليكشف عن جماليات المعنى الشعري داخل النص، اذ ينقل لنا احياءات الصورة من مستوى المشاهدة العيانية الى مستوى التفكير والتأمل لما يتميز به من تشكيل بصري ونفسي جمالي^(١٨).

كما ان توظيف ضدية (الصباح والليل) جاءت لتقوية المعنى في ذهن المتلقي، والتأكيد في إعطاء النص نوعاً من الجمالية اللفظية لمعنى التضاد، ولديه كان للتوظيف اللوني الأثر البالغ في اظهار المكونات النفسية لدى الشاعر.

ونلاحظ في مقطوعة أخرى ما جاء في قوله^(١٩):

دع العلياء يسحبها عريقٌ
يطول ركابه إن قام فيها

بياضك يومٍ نسبته سوادُ
ويقتصر عن مقلده النجادُ

جاء التضاد بين اللونين في النص عبر ثنائية (البياض والسواد) صريحاً، أي يقصد من الشاعر لأجل إخفاء دلالات نفسية عميقة تتكأ عبر هذين اللونين. فاستعمال الشاعر لفظتي (بياضك وسواد) اكسب النص دلالة ضدية موحية ساقها من بينته التي اسعفته في كون البياض لا يمحيه او يزيله الا السواد. وعليه فان دلالة اللون اسهم في وضع مرتكزات الصورة السلبية عبر الألوان المتضادة لجعل المتلقي ((يجذب ذهنه لما في التعبير من اثاره فكرية وشعورية تحقق نوعاً من المتعة لدى المتلقي، بالإضافة الى ان الشيء او نقيضه حين يجتمعان يبرز كل منهما ما في الاخر من جمال))^(٢٠).

ان توظيف اللون جزء من ابداع الشاعر الذي يعطي جمالية للنص الشعري ويستدعي عنصر الشوق في ذهن المتلقي والسامع، وقد اعطى الشاعر للمتلقي مساحة واسعة على رموز نصية من خلال حركة اللون داخل النص.

وقال في نص آخر أيضاً^(٢١):

ولا لون الخدود لها اذا ما
فألوان القلوب اذا أديرت
وأحسن صبعتين سواد كأس
فأليق في أوانيها الرقاق
تأسبها والوان الحداق
تعلق في يمين بياض ساقى

وفي هذا النص ايضا يوظف الشاعر تضاد البياض والسواد ليعطي صورة رائعة استرسل من خلالها لغته المعبرة، فحينما يتحد اللونان الأبيض والأسود في المقطع الشعري رغم تناقضهما في تشكيل الصورة الشعرية، فألوان القلوب اذا اديرت كناية عن السواد تتاسبها لوان الحداق كناية عن سواد الاحداق، فالأبيض والأسود في هذا المقطع قد يكون مختلفين بالشعور بهما متضادين داخل المقطع الشعري، لكن تجمعهما دلالة نفسية وشعرية واحدة، فيتجاور اللون الأسود مع الأبيض دون ان يختلطا، مما يقدم الشاعر ((لوحة لونية تلفت نظرة ويعبر عنها في لغتها ويحولها الى صورة يتغنى بها الشعراء))^(٢٢). وهي تحيل الى حياة الشاعر وميوله الفكرية والنفسية، فالأبيض والأسود يحملان الدلالة الشعورية والنفسية اكثر من كونهما رغبة في الابداع الشعري، وخصوصاً حينما يكونان متقابلين.

ليعطي وصفا بليغا لذلك التشابه بين سواد كأس وبياض يد الساقى^(٢٣).

ثانياً : الرضى والسخط

يعكس التضاد كل ما يجول في نفسية الشاعر، فضلاً عن الكثافة الدلالية التي يضفيها على النص الشعري، وعبر قراءتنا لشعر مهيار الديلمي وجدنا ان ضدية الرضى والسخط حظيت باهتمام الشاعر إذ عبر بوساطتها عن واقعه وبيئته وما يجول في ذهنه إذ يقول^(٢٤):

أستودع الله في أبياتكم قمرأ
أرضى وأسخط أو أرضى تلوئته
أما وواشيه مردود بلا ظفر
لو كان يُنصف ما قال: انتظر صلة
تراه بالشوق عيني وهو محبوب
وكل ما يفعل المحبوب محبوب
وهل يُجاب وبذل النفس مطلوب؟
تأتي غداً وانتظار الشيء تعذيب

وتظهر فاعلية التضاد اللفظي في هذه المحاور لتعطي جمالية الشوق والرضى والسخط نحو المحبوب، إذ يعطي التضاد انطباعاً لدى المتلقي حول شعور الشاعر ولهفته، فيدفعه ذلك الشوق الى جعل السخط رضى

في نفسه، لأن كل ما يصدر من الحبيب محبوب، فيشغل الشاعر (الرضى والسخط) وبهذا التضاد يقدم رؤيته للحب بانه مصدر سعادة وهناء معاً، فإذا وجد السخط اعقبه الرضى. فالتقابل اللفظي اداة من الادوات التي تتبه عن طبيعة الموقف الشعري في لحظات معينة، من دون ان تكون اداة للتجميل الشكلي، كما انه يمتاز بارتباطه بطبيعة اللغة الشعرية ارتباطاً وثيقاً، من حيث تميزه بالتعبيرية، وقدرته على الالحاء، وايصال المعنى وتمثيل التغيرات السطحي والعميق في الصورة والحدث عبر الجمع المباشر بين وحدتين متقابلتين^(٢٥).

وفي نص آخر يقول^(٢٦):

والله ان ترَضُوا وان تسخَطُوا
ان العلاب بحبوحة بيئها الـ
ناصى بها ((عبد الرحيم)) السها
قَدَّرَ وهو العالمُ القادرُ
مشرقُ هذا الحسبُ الطاهرُ
وبعدَه الكابِرُ والكابِرُ

يكشف النص عن وجود ثنائية ضدية قائمة بين طرفين الاول قائم على حالة الرضا على ممدوح الشاعر والثانية السخط من الحاسدين، كما يرى الشاعر من خلال هذه الثنائية السمو والرفعة والمكانة الممدوحة اذ طاول السما في الرفعة والنسب الطاهر وهي صفات ابداع فكر الشاعر في نقلها للمتلقي. والى مثل هذا التضاد يسوقنا الشاعر مهيار الديلمي قائلاً^(٢٧):

مَطَّلَ الدَّيْنَ ولو شاء قَضَى
كيف يُرَجَى النصحُ من محتكم
سرتي يوم "مِنَى" معترضاً
وجد الوجدَ كما خلقه
فاسقُ الذمّةِ ينسى ما مضى
يُكثرُ السخطَ ولا يرضى الرضا
ملء عيني وشجاتي مُعرضاً
بعد حول ما برا ما أمرضا

يلحظ في النص هيمنة التضاد بين (الرضى والسخط)، ليكشف لنا عن توتر الشاعر وبيان السخط في نفسه بعد ان آخر صديقاً له العطاء، ووعده فأخلف. أدى التضاد دوره في تعميق الدلالة المقصودة في نفس الشاعر، وأعطى للنص الديمومة والحركة والدهشة والشوق في ذهن المتلقي، وبذلك نجح الشاعر في توظيف التضاد في تشخيص توتره مستغلاً في ذلك مظاهر التناقض في الحياة. فهذا النوع من التضاد يشكل صورة صراع متناقضة بين طرفين لتخلق لنا تحويراً في الدلالات اللغوية، وتبديلاً في الأنماط الثابتة، وهذا ما يقود النص الى تشكيل تغيرات دلالية، ومن ثم يتم تشابك سياقات النص بتظافر البنية الفعلية القائمة على التضاد^(٢٨).

ثم الى نفس هذ الغرض يقول^(٢٩):

يا بأبى غضبان لو أنه
اغصُّ بالماء حفاظاً لما
ان كانت الاعراضُ مجزِيَةً
يرضى بغير القتل نال الرضا
فارقته في فمة من لَمَى
فعاقبَ الله الهوى بالهوى

تأتي ضدية الالفاظ (الرضى ، الغضب) في المقطع الشعري نابعة من روح الشاعر، وهي تحمل طاقة ايحائية أخرى متعلقة بذات الشاعر ورؤاه الفكرية والفنية لان في ((افادة الالفاظ والعبارات في النصوص الشعرية دلالات أخرى لا يحتملها معناها الحرفي))^(٣٠)^(٣١).

ثالثاً : العسر واليسر

ان لتضاد الألفاظ في شعر مهيار الديلمي اشكالا متعددة والواناً أكثر، من هذه الاشكال ضدية العسر واليسر، والتي جاءت معبرة عن حالة الشاعر وحاجته المنكررة للعطاء، لأن الثنائية الضدية هي الاداة التي يلجأ إليها الشاعر في التعبير عن خلجات نفسه النائرة على الواقع المحيط في حالاته المتنوعة لأنها تكون نسيجاً من العلاقات والأنساق مليئاً بالدلالات^(٣٢) والتي كان يشكوها لأصدقائه ومحبيه شعراً ليستعطفهم وينال عطاياهم، ومن هذه الثنائيات قوله^(٣٣):

سميع على بُعد الدعاء مُجيب
غويبُهُمُ أن تُنتحى بعيوب
وألسنُهُم في مَشْهَدِي ومَغْيَبِي
فما قَتَعُوا من وصلها بنصيب
على راحةٍ من عيشهم ولُغُوبِ

رعى اللهُ في الحاجاتِ كلَّ نجيبٍ
وظهَرَ فَنُيَّاتنا من الذمِّ طَهَّرُوا
سواءً على عُسْرِي ويُسْرِي وفأوهم
أحبُّوا المعالي وهي مُبْصَبَةٌ لهم
لجارهُم من دارهم مثلُ ما لهم

أراد الشاعر إيصال فكرته الى المتلقي عبر الثنائيات المتضادة التي تحمل معاني ايحائية لتعبر عما في داخله من إحساس ومؤثرات وانفعالات. فالتصوير ايحائي لدى الشاعر قام على ثنائية (العسر، اليسر) فالمعنى لا يعدو ان يكون اكثر من كونه بناءً معنوياً، فسعة الحال واليسر لدى الشاعر انما هي عيشة بين محبيه على كل حال، اما قبل ان يغاث من ممدوحه فهو ينتظر تلك الإجابة التي كانت تعبر عن وفائهم له، وبذلك وصل الشاعر الى ما يريد ((فالتعبير بالصور يتعدى التراكيب الى الخطاب في حد ذاته ليعبر عن صورة فعالة خارج اللغة فقد صار الشعر معبراً من المعاني الاشارية الى المعاني ايحائية ما يضمن تحولا دلالياً))^(٣٤). أعطت هذه الثنائية مجالاً أوسع للمتلقي ليبحث على المعنى الذي أراده الشاعر عندما ذكر الصفات الحسنة لممدوحه، ومن ثم مزجت هذه الضدية بين الصريح والضمني، وجعلت الاتصال متماسكاً بين النص والمتلقي في بيان الألفاظ وحركتها واداءها للمعاني. والى مثل تلك الضديات ينقلنا الشاعر مرة أخرى في توظيف آخر قائلاً^(٣٥):

له حوضٌ ولم تُنزِفْ عِمَارُ
ويُعْطِي الناسُ ما بَلَغَ اليَسَارُ
به وإلى القليل بكِ افْتِقَارُ
وما يُسْدَى بهنَّ وما يُنَارُ

وردتُ نَدَاكِ عَذْباً لم يُكْدَرُ
على الإعسارِ تعطيني كثيراً
ومن آياتِ جودك أن عُنِينَا
فِعِشْ بيبُلُغُك ما تجزي القوافي

أستثمر الشاعر أسلوب التضاد في عرض المدح إذ جمع في البيت الاول بين (العذب والكدر) وفي البيت الثاني بين (الاعسار واليسار) وفي البيت الثالث بين (الغنى والافتقار)، وفي كل مرة نجد يستخدم هذه المتناقضات لبيان صفة ممدوحه، او يستخدمها لغرض بيان المعنى المراد من هذه الضدية وهذه الألفاظ المتضادة تساق في النهاية الى غاية واحدة، وهي ما يصبو الشاعر الى تحقيقها والوصول اليها عبر رحلته الشعرية. لأن نقل المعنى ومقابله من اهم الوسائل اللغوية الاسلوبية في إيصال المعنى والفكرة بصورة صادقة^(٣٦).

وفي عرض آخر يقول^(٣٧) :

أني علقْتُ بحبلٍ غيرِ حَوَارٍ
والأسمحين على عُسْرٍ وإِقْتَارِ

علقتُ باسمهمُ فاستبقتني وفي
بالأطهرين ترى والأطيبين ندَى

والناصرين لما قالوا بما فعلوا

والفاتلين على شزرو وإمرار

سعى الشاعر من خلال ضدية العسر واليسر الى وصف ممدوحه والثناء عليه، ويضفي عليه صفات الكمال والشجاعة والكرم وهي دلالة اعطتها الضدية للنص الشعري ليظهر واضحاً جلياً في نفس المتلقي. و الى نفس هذه الفكرة ينقلنا الشاعر فيقول^(٣٨) :

إذا نُقِلْتُ وَسُوقَ الرَّأْيِ أَقْعَى
ومعتل البنان على العطايا
يجود وما عليه فضولٌ حقٌّ
يَحْكُ بظهره من غير عسر
يُظِلُّ البخلُ في عَرْضِ التحرّي
على عُدْمٍ ويمنع وهو مُثري

تبدو ثنائية الألفاظ عسر، بخل، يجود، مثري تحتشد في المقطع شبكة لغوية في خط دلالي واحد يتمركز حول بؤرة العسر واليسر وتجليهما بين مفردات النص يسهم في رسم صورة المعنى الشعري الذي يهيمن على ابراز الممدوح بصفة الكريمة والجاد^(٣٩).

رابعاً : الجود والبخل

يمتاز شعر مهيار الديلمي بكثرة الثنائيات الضدية على اختلاف انواعها، والتي تحمل دلالات ظاهرة، تخفي وراءها معاني اكثر عمقاً ودلالة، ومن هذه الثنائيات ، ثنائية (الجود والبخل) ومنها قوله^(٤٠):

وفرت له قِسماً كفاه و زادَه
وساومَ غيري المدحَ يَرِخصَ عرضَه
فأصبحتُ كالبيضاء ضرتَ فغاضها
ولكنَ ماسرجيسَ من لا تردُه
ولا تُقتضى مطولة الحقَّ عنده
فمأل به الإسفافُ في طلب الرِّبْحِ
فلم يُعْنِي بخلي عليه ولا شَحْيِ
بسوداءَ والعجزاء غارت من الرُّسْحِ
عن الجِدِّ حنَّاتُ الطباعِ إلى المِزْحِ
ولا يُكسبُ الإنصافُ بالكَدِّ والكِذْحِ

لم تتشكل الثنائيات الضدية في شعر مهيار، من فراغ، ولم تأتي اعتباطاً، فهي لم تكن بفعل الذائقة الفردية للشاعر بوصفه انساناً عادياً، وانما ظهرت تلك الثنائيات مبنوثة في شعره نتيجة موقف فكري اتجه مجتمعه والحياة، صاغها الشاعر بقابليته ومقدرته اللغوية والفكرية، فتولدت انساقاً ضدية متنوعة مثل (البخل والجود) الذي استطاع الشاعر عبرها ان يبين لنا صفات ممدوحه (ماسرجيس)، فجاءت تلك الثنائيات موحية قريبة الى ذهن المتلقي الذي شارك الشاعر نصه في ادراك المعاني. وجاء هذا التوظيف للثنائيات بارزاً في قول الشاعر^(٤١):

رأوا حفظَ النفوسِ إذا استميجوا
فِدَىً للمحسنين فتىَ علاهم
دعي في السماح وليس منه
وقد بخل الحيا بخلأ فجادوا
وناشرُها وقد درسوا وبادوا
متى اعترف الندي بك يا زيادُ

نلاحظ ان المعنى الذي نهض به التضاد في البيت الاول جاء مرتبطاً بباقي الابيات، بل هي دفعت الشاعر الى بيان المعنى المراد من الثنائية الضدية (الجود والبخل) التي جاءت معبرة مما خاطر الشاعر اتجاه هذه الشخصية، إذ عبر عن البخل في الشخص المهجو وشحه عبر ضدية ساقها من بينته أكدت سلبية المهجو، وعززت حزن الشاعر وامتعاضه، وبذلك استطاع عبر هذه الثنائية ان يجعل القارئ مرتبطاً بالنص الى نهايته والبحث عن المعاني المراد الوصول اليها عبر هذه الثنائية.

وفي نص آخر يقول^(٤٢) :

وابن البحار بالبحار يُبْتَعِي
مُبْخَلِيهَا بالسماح والنَدَى

فأبن الملوك بالملوك يَفْتَدِي
سكنتموها فاضحين جُودَهَا

يكشف النص عن علاقة ضدية برزت من خلال ثنائية (جودها، مبخليها) وهي بمثابة مؤشر للمعنى الباطني الذي تحمله الالفاظ والذي يضمن شعريتها، ان التمعن في النص يبرز الثنائية التي أراد الشاعر اظهارها للعلن كي يجذب القارئ لما يريده من معان فكرية قائمة على وجهين (الجود، البخل)، والتي اخرجت النص متكاملًا وفتحت المجال امام الشاعر ليضع في قالب افكار تلك الصفات التي ارادها لممدوحه الذي وصفه بالجود الناتج عن كونه ابن الملوك واهل الجود والعطاء. والى نفس هذا المعنى يقول^(٤٣) :

ث تصاع العلا وتلوى الحقوقُ
لَ وكيف المحرومُ و المرزوقُ
ك ثناءً تبخُّ منه الحلوُّ

انزلتني الأيام بعدكمُ حي
وعرفتُ الرجال والجود والبخ
استمع أسمعُ عطايك اذني

يعبر الشاعر عن الزمان بالالفاظ ضدية خلقها من خلال ثنائية (الجود، والبخل) فيلوم زمانه بعد ان كان في ظل ممدوحيه ذا سعة ومال ولكن بعدهم انزله الزمان منزل المحروم حيث ضاع العلا وضاعت الحقوق ، فيظهر في المقطع الشعري ثنائية ضدية حول اختلاف الأزمنة وتقاطع الأفكار والاحوال، فينقلنا الشاعر عبر ازمان كان فيها ممدوحه يجود عليه ويكرمه وازمان خلت من الممدوح والتي بها فقد الإحساس بمن يجود عليه بعدما اجاد، وهنا يتقابل الماضي مع الحاضر في ثنائية ضدية تتمحور حول الجود والبخل. فكل زمان صفاته وأهله. فهذه الالفاظ وما تحمله من معان في ابراز الثنائيات المتناقضة التي عاشها الشاعر، فحياته قائمة على التناقضات لذلك جاءت الفاضله حاملة هذا التناقض^(٤٤)^(٤٥).

خامساً : الصعب والسهل

ان الدراسة النصية للتضاد تؤدي بالمتلقي الى رصد تفاعلات الشاعر وتوتراته بين الواقع ورؤيته الخاصة للأشياء^(٤٦)، لذلك عمد الى اسلوب التضاد لخلق تقابل لغوي لفظي معتمداً على خلفيته اللغوية والفكرية، ونظرته لبنيته التي يعيش فيها فيعطينا افكاراً جديدة ومن هذه الافكار ضدية (الصعب والسهل) التي وظفها الشاعر، ولا غرابة ان يزخر شعر مهيار بالتناقضات لان الشعر ((لا يمثل الا الحالة النفسية في الوقت الذي أنشأ فيه الشاعر شعره وقد يكون متفائلاً حيناً ومتشائماً حيناً آخر ، راضياً حيناً وغير راضٍ حيناً آخر، والشعر يمثل هذه الاطوار، ويسجل وقع الحياة على نفس الشاعر في كل حين))^(٤٧)، وهكذا حققت هذه الثنائيات الضدية التجربة الذاتية للشاعر اذ يقول مهيار^(٤٨):

خلا خيلُهُ المَلأى وتقصُرُ حُقْبُهُ
سواءً عليها سهلٌ سيرٍ وصعبُهُ
تكاد تعدّ السير يومَ تعبُهُ
وكلُّ سقامي معوزٍ منْ يطْبُهُ

تطولُ على الصَوَاغ حين يمدّها
جهدنا فلم نُدرِك على أنْ خيلنا
وقد فطنتُ للشوق فهي تسرّعا
أكلُ ظمائي غائضٌ ما يبُلُّه

استطاع الشاعر ان يختار ضدية مرتبطة بالوصف الذي قدمه عبر ابیات؛ تربط ثنائية (السهل والصعب) بسير الخيل ثم وظف المعاني الاخرى لتأتي مرتبطة بأصل الفكرة، وان هذا الاختيار اعطى للمتلقي سمة

التعرف على المعاني التي حملتها ابيات القصيدة والتي سعى اليها الشاعر بوساطة ضدتيته، والى مثل هذه الضدية يقول الشاعر^(٤٩):

فإن غادرت أمسي نحولا صروفه
ويستصعب الأمر الفتى من صدوره
تبدلت من حرّ الأسى ونفوره
وكنت مروعا من ذناب تتوشني

فلليوم حتى أستعيد سميته
فتقضي له الأعجاز أن يستهينه
على كيدي برد الغنى وسكونه
فأمنأ فقد عاد الهزبر عريته

مرة أخرى يرى الشاعر بوساطة ضدية (السهل والصعب) والذي عبر عن السهل بمرادفة (الاستهانة)، انه قادر على ان يغير حروف دهره وان يحول ذلك الامر الصعب الى امر مستهان، يتبدل فيه حد الاسى مما عاش الى برد من الغنى فأجاد الشاعر في اختياره لثنائية معبرة عن حالة إذ اسعفته لغته ايضاً في اختيار المناسب منها لأداء معانيه.

يقول في نص آخر^(٥٠):

وقودني للحب اول زاجر
وقد كنت صعباً في مماكسة الهوى

أحب على حكم الزمان وأعق
فعلمني جور النوى كيف أرفق

تجد في النص السابق ثمة ثنائية ضدية تنير الى حالة الشاعر وهو يشكو الهوى وما اصابه من عسر ويسر في طريقه، فقد ابرزت تلك الثنائية تلك الالام والشكوى امام المتلقي. فتبدو الثنائية الضدية ماثلة في لفظتي (صعباً ، ارفق) وفيه تمثل مقدرة الشاعر في ابراز التناقض تقابلياً بين لفظتي صعباً و ارفق عبر مقابلة بين صفات المتكلم، وبهذا نجد التناقض لدى الشاعر وسيلة من وسائل بناء القصيدة على أساس يظهر الرؤية الفكرية اتجاه الحياة والواقع، لان حياته اساساً مبنية على التناقضات كما يبدو.

ويقول في نفس الغرض^(٥١):

وما زلت بالتدبير تركب صعبه
أحبك وداً من يخافك طاعة

الى سهله حتى استوى السهل والصعب
واعجب شىء خيفة معها حُب

تشكل ثنائية (الصعب والسهل) حضوراً مميزاً داخل النص السابق، من خلال علاقة الشاعر بمدوحه وكيف أنه يحب دون خوف بل حبه طاعة و ود، وهذا ما خلقت تلك الثنائية في ذهن المتلقي، وهذه الثنائيات هي بنيات لغوية تخزن ثنائية الصعب والسهل في مستوى واحد، فتمكن الشاعر في هذا المقطع ان يبرز الثنائيات الضدية كوصف للحالة التي يكون عليها مع مدوحه الذي يحبه ليس طاعة بل وداً وقرباً عبر التقابل بين مفردات صعب وسهل وداً، طاعة ليحاكي رؤاه الشعرية في صورة صادقة تحشد حبه لممدوحه لذلك أسهمت الالفاظ بنقل شعرية الشاعر لاتساع دلالاتها الاشارية والفنية^(٥٢).

سادساً : الايمان والكفر والضلال والاهتداء

ان التضاد لا يحيا ولا تتبع دلالاته الا من داخل السياق الذي ترتبط فيه الالفاظ والتراكيب لتشكيل الصورة الشعرية، ورسم ملامح المعنى وهذا ما رسمته ضديات الشاعر الديلمي في ثنائية اعتمد فيها على موروثه الديني وهي (الايمان والكفر) (الضلال والاهتداء) إذ يقول^(٥٣):

ضلّ ولو كان له قلبي أهدى
قالوا الغضا ثم تنفست لهم

بناره أو شام جفني سقى
فهم يدوسون الحصا جمر الغضا

لينُ مهَادٍ ورفيقاتُ الخُطَا
وأين منه ما أستقام وأثنى

بين الخُدُوج مُترَفٌ يُزَعِجُهُ
عارضني يُذَكِّرُنِي الغصن به

ان التضاد اللفظي الحاد بين (الضلال والاهتداء) يعكس في نفس الشاعر توتره وانزعاجه اتجاه مجتمعه، عن طريق ابقاء الضدية مهيمنة على نصه، اذ يعكس في الوقت نفسه النظرة التي تكونت في ذهن الشاعر ويقدمها امام المتلقي نظرتَه عن الاخلاق والحياة، فيرى في ضلالهم هداية في نار قبله التي اوقدتها اخلاقهم السيئة ومعاملتهم المرفوضة فان ما يتولد من تلك التناقضات المتضادة، يحفز المتلقي على انعام النظر فيهما، فيتضح المعنى مشكلاً بؤرة المفاجأة الاسلوبية وسر الجمال في البنية الخفية للنص^(٥٤). وفي مقطوعة أخرى يقول مهيار^(٥٥):

والكفرُ في ضَبَّةِ جاثٍ على الرُكْبِ
نقلتَ دينك شرعاً عن أبِ فأبِ
فاقطع بخير على أبنائه النُجْبِ
وأنت كالوردِ والأعداءِ كالقربِ
لم تدر قبلك ما أسمُ الفرِّ والهربِ

وقام بالبصيرة الإيمان منتصباً
حتى تقبَّلَها إرثاً وأفضل ما
إذا رأيتَ نجيباً صحَّ مذهبهُ
لا ضاع بل لم يضع يوم أنتصرتَ به
وقد أتوك براياتٍ مكررةٍ

استنطق الشاعر ضدية (الكفر والايمان) في مدحه لعضد الدولة احد الامراء الفاطميين في النيل، بعد ان جاءت مع الابيات ذات دلالة وهو يذكره بالأمام علي بن ابي طالب (عليه السلام) في الجمل وكيف ان علياً مثل الايمان كله ضد الكفر الذي رمز له (جاث على ركبته) إشارة الى الجمل وتلك الواقعة المعروفة التي استطاع الشاعر ان يستثمرها في مدح عضد الدولة، اذ ان التضاد قاد الشعر الى توازن فني يعيش فيه الانسجام والوحدة في الموضوع والفكرة.

الخاتمة:

١- يتضح ان التضاد على مستوى الالفاظ والمحسنات لم يأت عفواً ولم يكن من اجل اضافة التحسين على الكلام.
٢- كانت الالفاظ احد اساسيات القصيدة لدى الشاعر وهي تحمل معان دالة على تجربته المليئة بالتناقضات تجاه الواقع.
٣- وظف الشاعر بعض دلالات الالفاظ في الالوان كالاسود والابيض والسخط والرضى والعسر واليسر والوجود والبخل، اخذت بالقصيدة الى ابعاد ومان كامنة في ذات الشاعر تجاه واقعه القائم على التضاد في رأيه.

هوامش البحث:

- (١) مقدمة القصيدة في الشعر العراقي : ٩٨ .
(٢) ينظر قضايا معاصرة في الادب والنقد : ١٢٣ .
(٣) ينظر لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية : ١٥٧-١٥٨ .
(٤) دير الملاك : ١٩٤ .
(٢) ينظر المتنبي وشوقي دراسة ونقد وموازنة : ٥٨ .
(٣) ينظر جدلية ابي تمام : ٤٣ .
(٤) ينظر التناقضات الضدية في سورة الرعد، مازن موفق صديق الخيرو، مجلة آداب الرفدين، ٥٧٤، ٢٠١٠ : ١٠٨ .
(٥) الصورة الشعرية والرمز اللوني (دراسة تحليلية احصائية) : ١٦ .

- (٩) الثنائيات الضدية في شعر ابن دراج القسطلي : ٥٠ .
- (١٠) انوار الربيع في أنواع البديع : ٤٨ / ٢ .
- (١١) الديوان : ١٠٤ / ١ .
- (١٢) ينظر جماليات اللون في شعر زهير بن ابي سلمى : ٣٧ .
- (١٣) الديوان : ٢٨١ / ١ .
- (١٤) التوظيف الفني للون في شعر مهيار الديلمي
- (١٥) شعرية الالوان في النص الجزائري المعاصر : ١٩٤ .
- (١٦) الديوان : ٤٢١ / ٤ .
- (١٧) الاسلوبية : ١٧ .
- (١٨) ينظر النور والظلام في شعر البحري : ١٧٤ .
- (١٩) الديوان : ٢٠٥ / ٢ .
- (٢٠) عناصر الابداع الفني في شعر ابن زيدون : ١٥٠ .
- (٢١) الديوان : ٥٩ / ٣ .
- (٢٢) صورة اللون في الشعر الاندلسي : ٣٣٩ .
- (٢٣) ينظر للمزيد : ١ / (١٠٤ ، ١٣٥) ، ٢ / ٣٩٥ ، ٣ / (٥٣ ، ٥٩) .
- (٢٤) الديوان : ٢٦ / ١ .
- (٢٥) ينظر ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي : ٦٩ .
- (٢٦) الديوان : ٤٢٥ / ٢ .
- (٢٧) الديوان : ٤٨٦ / ٢ .
- (٢٨) ينظر ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل : ٥٤ .
- (٢٩) الديوان : ٩ / ١ .
- (٣٠) الخطاب النقدي عند الشريفيين الرضي والمرتضي : ١١١
- (٣١) ينظر للمزيد : ١ / (٩ ، ١١) ، ٢ / ٤٢٥ ، ٤ / (٤٤٩ ، ٥٠٣) .
- (٣٢) ينظر جدلية الخفاء والتجلي : ٢٩٤ .
- (٣٣) الديوان : ٢٤ / ١ .
- (٣٤) تحليل الخطاب الشعري في منظور اللسانيات النصية : ٣٤ .
- (٣٥) الديوان : ٣٦٦ / ٢ .
- (٣٦) ينظر ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي : ٧١ .
- (٣٧) الديوان : ٤٠٠ / ٢ .
- (٣٨) الديوان : ٤١٤ / ٢ .
- (٣٩) ينظر للمزيد : ٢ / (٤٠٠ ، ٤١٤) ، ٣ / ٢٦٢ ، ٤ / ٥٢١ .
- (٤٠) الديوان : ١٧٦ / ١ .
- (٤١) الديوان : ٢٠٥ / ١ .
- (٤٢) الديوان : ١٢ / ١ .
- (٤٣) الديوان : ٦ / ٣ .
- (٤٤) ينظر الثنائيات الضدية ، دراسات في الشعر العربي القديم : ٢٣ .
- (٤٥) ينظر للمزيد : ١ / (٩ ، ١٢ ، ١٥ ، ١٨ ، ٢٠ ، ٢١) ، ٣ / ٦ ، ٤ / (٤٢٠ ، ٤١١) .
- (٤٦) ينظر بناء الأسلوب في شعر الحدادثة : ١٤٧ .
- (٤٧) اسس النقد الادبي عند العرب : ٤١٩ .
- (٤٨) الديوان : ١٥ / ١ .
- (٤٩) الديوان : ٤٣١ / ٤ .
- (٥٠) الديوان : ١٨ / ٣ .
- (٥١) الديوان : ١٣٢ / ١ .
- (٥٢) ينظر للمزيد : ١ / (١٣٢ ، ١٣٧) ، ٣ / ١٨ ، ٤ / ٤٣١ .

(٥٣) الديوان : ١١ / ١ .

(٥٤) ينظر خصائص الاسلوب في الشوقيات : ١٢١ .

(٥٥) الديوان : ٢٣ / ١ .

المصادر والمراجع:

- ابداع الدلالة في الشعر الجاهلي مدخل لغوي أسلوبى ، محمد العبد ، دار المعارف ، القاهرة ، ط١ ١٩٨٨ م .
- اسس النقد الادبي عند العرب ، احمد احمد بدوي ، دار النهضة - مصر للطباعة والنشر ، دط ، دت .
- الاسلوبية ، بيير جيرو ، ترجمة : منذر عياشي ، مركز النماء الحضاري ، حلب ، ط ٢ ١٩٩٤ م .
- انوار الربيع في أنواع البديع ، السيد علي صدر الدين بن معصوم المدني ، حققه وترجم شعرائه : شاكِر هادي شكر ، مكتبة العرفان ، كربلاء ، العراق ط١ ، ١٩٦٨ م .
- بناء الاسلوب في شعر الحدائث التكوينية البديعي ، محمد عبد المطلب ، دار المعارف - مصر ، ط ٢ ، ١٩٩٥ م .
- تحليل الخطاب الشعري في منظور اللسانيات النصية ، احمد مداس ، جامعة محمد خضير ، الجزائر ، ٢٠٠٤ م .
- التوظيف الفني في شعر مهيار الديلمي ، ميادة حسن راشد ، مجلة اداب الفراهيدي ، جامعة كركوك ، المجلد ٤١ ، العدد ١٢ ، ٢٠٢٠ م .
- الثنائيات الضدية ، دراسات في الشعر العربي القديم سمر الديوب ، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب ، وزارة الثقافة ، دمشق د - ط ، ٢٠٠٩ م .
- الثنائيات الضدية في سورة الرعد ، مازن صديق موفق الخير ، مجلة اداب الرافدين ، العدد ٥٧ ، ٢٠١٠ م .
- الثنائيات الضدية في شعر ابن دراج القسطلي ، بيداء بشير يونس الطائي كلية الادب ، جامعة الموصل ٢٠٢٠ م .
- جدلية ابي تمام ، عبد الكريم اليافي ، منشورات دار الجاحظ للنشر - بغداد ، ١٩٨٠ م .
- جدلية الخفاء والتجلي دراسات بنيوية في الشعر ، كمال أبو ديب ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، ط١ ١٩٧٩ م .
- خصائص الاسلوب في الشوقيات ، محمد هادي الطرابلسي ، منشورات الجامعة التونسية ، ١٩٨١ م .
- الخطاب النقدي عند الشرفين الرضي والمرتضى ، سعد داحس ناصر الحسني ، كلية التربية ، جامعة واسط ، ٢٠٠٨ م .
- دير ملاك دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر ، محسن اطميش ، دار الرشيد للنشر ، الجمهورية العراقية دت ، دط .
- ديوان مهيار الديلمي ، شرحه وضبطه : احمد نسيم ، مؤسسة الاعلى للمطبوعات ، بيروت لبنان ، ط ١ ، ١٤٢٠ هـ ، ١٩٩٩ م .
- شعرية الالوان في النص الجزائري المعاصر ، صديقة معمر ، كلية الاداب واللغات ، جامعة منشوري ، قسطنطينية ، ٢٠١٠ م .
- الصورة الشعرية والرمز اللوني ، دراسة تحليلية احصائية لشعر : البارودي ونزار قباني وصلاح عبد الصبور ، يوسف حسن نوفل ، دار المعارف ، القاهرة ، دط ، دت .

- صورة اللون في الشعر الاندلسي، حافظ المغربي ، دار المناهل للطباعة والنشر والتوزيع ،بيروت لبنان، ٢٠٠٩م.
- ظواهر اسلوبية في شعر بدوي الجبل ، عصام شرّح ، منشورات اتحاد الكتاب العرب ، دمشق ، ٢٠٠٥ م.
- عناصر الابداع الفني في شعر ابن زيدون ، فوزي خضير ، مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للابداع الشعري ، الكويت ، ٢٠٠٤ م.
- قضايا معاصرة في الادب والنقد ، محمد غنمي هلال ، دار النهضة ، مصر ، القاهرة ط١ ، د.ت.
- لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية ، عدنان حسين العوادي ، منشورات وزارة الثقافة والاعلام العراقية ، ط١ ، ١٩٨٥م.
- المتنبي وشوقي دراسة نقد وموازنة ، عباس حسن ، ، شركة ومكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ، ط١ ، ١٣٧٠-١٩٥١م.
- مقدمة القصيدة في الشعر العراقي من ٦٥٠-٨٠٠هـ (دراسة فنية) ، وجدان جمال نجم محمد ، كلية التربية الأساسية ، جامعة المستنصرية ، ٢٠١٣م.
- النور والظلام في شعر البحتري ، نوزاد شكري ، دار الزمان للطباعة والنشر ، دمشق ، ط ١ ، ٢٠١٠ م.
- ينظر جماليات اللون في شعر زهير بن ابي سلمى ، موسى رابعه ، مجلة جوش للبحوث والدراسات مج٢، ٢٤، الاردن : ٣٧.